الدولة المصرية في عمان تجتاز اختبار " غونو " بنجاح

في الشهر الماضي أصابت سلطنة عمان كارثة طبيعية مدمرة أثارت قلقا كبيرا لدى محبي هذا البلد المنكوب ، كما أثارت في الوقت نفسه قلقا مماثلا لدى جيران عمان الذين تملكهم الخوف من شبح زيارة ثقيلة الظل لهذا الضيف غير المرغوب فيه . بيد أن كل من تابع تداعيات هذا الإعصار الذي وصل الى عدد من مدن عمان الساحلية وفي مقدمتها العاصمة العمانية مسقط أصابتهم دهشة ذات وجهين ليس من حجم الخسارة المهولة التي تكبدتها عمان الحديثة من جراء هذه الكارثة ، بل ومن الطريقة النموذجية غير المسبوقة التي تعاملت بها عمان حكومة وشعبا مع هذا المصاب .

أحمد الحبيشي

رفض العمانيون في سابقة لا مثيل لها في التاريخ الحديث قبول أي مساعدات خارجية للتخفيف من آثار هذه الكارثة الرهيبة ، فيما لا زالت حية في الذاكرة مشاهد كارثية مماثلة تسابقت فيها دول العالم الكبرى والغنية ومنظمات الإغاثة الدولية لمساعدة البلدان التي أصابتها كوارث طبيعية مدمرة وآخرها الولايات المتحدة الأميركية وإيران واندونوسيا وسيرلانكا ، حيث فتحت هذه البلدان موانئها الجوية والبحرية لتلقي المساعدات الخارجية ، فيما انفرد العمانيون بموقف نادر المثال برفضهم قبول أي مساعدات خارجية والمضي في الإعتماد على النفس لمواجهة تلك الكارثة الطبيعية المدمرة ، على الرغم من أن ثمة دولا كثيرة ـ من بينها اليمن ـ كانت ترغب في رد الجميل لهذا البلد الذي لم يتردد في أوقات سابقة وعصيبة عن تقديم العون والغوث والمساعدة لكل شقيق وصديق .

بوسعي القول إن الذين يعرفون عمان جيداً وأتيحت لهم فرصة قراءة مشهد النهضة العصرية العمانية ومنجزاتها على الواقع ، لن يعجزوا عن فهم وإدراك مفاعيل الصمود الإبداعي الذي اجترحه العمانيون وهم يواجهون مخاطر تلك الكارثة العصيبة .

قبل أن يضرب الإعصار غونو عددا من المدن العمانية المنكوبة وعلى رأسها العاصمة مسقط استعد العمانيون جيدا لاستقبال هذا المصاب وخططوا لتحويله الى أزمة عابرة يتم إدارتها بآليات جديدة وفاعلة تجسد ميكانزمات الدولة العصرية والمجتمع المدني المتحضر في هذا البلد الذي يشق طريقه نحو ذرى التقدم والحداثة والتجدد الحضاري . وبعد ان فرغوا من إدارة هذه الأزمة والتصدي لتداعيات إعصار غونو المدمر اتجه العمانيون لإحصاء قتلاهم وخسائرهم والشروع في تضميد ومعافاة جراحهم .

ضرب الاعصار المدمر بقوة الأراضي العمانية مصحوبا برياح عاتية وأمواج بحرية بلغ إرتفاعها 14 مترا . وتسبب بهطول امطار غزيرة فوق العاصمة مسقط ، كما تسبب أيضاً في مصرع نحو 80 شخصا ، واقتلاع العديد من الأشجار وغرق عدد من الشوارع وإلحاق أضرار بالغة بمئات المباني والمنازل والآليات والمركبات . كما أدت الرياح والامطار الغزيرة التي رافقت الاعصار الى انقطاع التيار الكهربائي و المياه في معظم مناطق سلطنة عمان ، حيث اغلقت السلطات العمانية مطار العاصمة مسقط وميناء صحار، بعد ان تم إجلاء 11 ألف شخصا يعملون في ذلك الميناء الاستراتيجي، وحوالي 20 الف شخص تم اجلاؤهم عن المناطق الساحلية قبل وصول الاعصار ومن بينهم سكان جزيرة مصيرة العمانية ، فيما تم اخلاء المدارس والمباني الحكومية لايواء المرحلين.

صحيح ان حجم الخسائر كبيرجدا بمقياس حاجة المجتمع العماني لكل إنسان لقي مصرعه ولكل حجر او شجر تهدم بفعل هذا الإعصار المدمر ، لكن الخسارة تعد قليلة جدا بمقياس قوة الإعصار الذي كان سيلحق بهذا البلد الجميل والطيب خسائر بشرية ومادية مهولة لولا الاستعداد المسبق لمواجهة الكارثة ، والادارة العلمية الناجحة لمعالجة تداعياتها .

ومن المثير للدهشة أن مستوى الإعصار من حيث ارتفاع أمواج البحر وسرعة الرياح العاتية والمدمرة يقترب قليلاً من مستوى إعصار كاترينا وتسونامي اللذين أصابا السواحل الغربية للولايات المتحدة الأميركية والسواحل الجنوبية الشرقية لإندونيسيا في وقت سابق من عام 2005 وعام 2006 . وقد تعرضت الإدارة الأميركية والحكومة الإندنوسية للنقد من الرأي العام والمنظمات غير الحكومية بسبب تقصيرهما في الاستعداد للكارثة أو مواجهتها والتعامل مع تداعياتها ونتائجها التي كانت مروعة ، على عكس الخسائر المحدودة التي تكبدتها عمان جراء هذا الإعصار الذي تعامل معه العمانيون بنجاح منقطع النظير وبدون أية مساعدات خارجية!

اللافت للنظر ان الحكومة العمانية تعاملت مع هذه الكارثة بشفافية وكفاءة قبل وبعد وقوعها ، حيث كان العمانيون رجالا ونساء ومن مختلف الأجيال والأعمار والفئات في قلب المشهد الذي يشير إلى ثقافة حداثية في مجالي القيادة والمشاركة بمعنى أن القيادة العلمية العصرية للدولة والمجتمع في عمان الحديثة وفرت حضوراً واسعا للمشاركة والفعالية والإنجاز ، حيث لا وجود للمفاهيم والتقاليد والعادات والقيود التي تكرس التمييز ضد المرأة بما هي نصف المجتمع وتجميد قدراتها ، وتغييبها عن الحياة العامة ،ناهيك عن قوة سلطة القانون وغياب مظاهر الترف والتعالي والاسراف التي تبدد طاقات وموارد المجتمع وتسخرها لخدمة مصالح وفئات طفيلية على حساب حقوق المجتمع في التنمية العصرية وحقوق الأجيال في حياة آمنة ومزدهرة كما هو الحال في العديد من البلدان النامية.

الثابت ان المجتمع العماني الذي يشهد منذ أكثر من ثلاثة عقود نهضة عصرية متعددة الأبعاد نجح في القضاء على العديد من مظاهر ومعوقات وقيم التخلف بما هي ثقافة معيقة للتقدم والنمو ، حيث يخطئ من يعتقد بأن تجاوز فجوة التخلف مرهون فقط بإدخال تغييرات شكلية على البنى المادية دون المساس بالبنى الثقافية التي تفرغ التحولات من مضمونها، وتحول دون الاندماج في الحضارة الحديثة واستيعاب منجزاتها قيمها وأدواتها .

من حق البعض أن يختلف مع كاتب هذه السطور في قراءة مشهد الكارثة الطبيعية التي أصابت عمان الشقيق لجهة دور الثقافة السائدة في دعم الخطط والجهود التي إجترحها .العمانيون حكومة وشعبا في تحويل إعصار غونو من كارثة طبيعية مدمرة الى أزمة عابرة تتطلب إسلوبا علميا وإبداعيا في إدارتها أكثر مما تتطلبه من إعانات ومساعدات وإغاثات خارجية على النحو التقليدي الذي تستخدمه دول عديدة في التعامل مع الكوارث الطبيعية المدمرة .

ومن حق كاتب هذه السطور في الوقت نفسه أن يرى دورا إيجابيا للمفاعيل الثقافية التي تسهم في تسريع وتحصين إنجازات وتحولات النهضة العصرية في عمان الجديدة ، حيث يمكن إعتبار نجاح العمانيين في مواجهة هذه الكارثة بالإعتماد على منها المجتمع العماني في مجالات مختلفة ، بحيث تصبح هذه النواقص والسلبيات القديمة والجديدة متطلبات حيوية وعاجلة ينبغي العمل على إنجازها . أما الإيجابيات والإنجازات فقد أصبحت واقعاً ملموسا يحتاج الى عمل متواصل للمحافظة عليه وصيانته ولايحتاج الى مزيد من إهدار الوقت والجهد للحديث عنه والإنشغال به على حساب القضايا الملحة .!!

استرعى انتباهي أيضا إختفاء المظاهر الإستعراضية، وغياب المجاميع المدججة بالسيارات الفارهة والاسلحة العنترية التي لا ترافق المسؤولين العمانيين كالوزراء وأعضاء مجلس الشورى والمجلس الوطني وشيوخ القبائل حيث يقومون هؤلاء – وهم من كبار القوم في الدولة والمجتمع – بقيادة سياراتهم بأنفسهم وبدون مرافقين، ويحترمون أنظمة المرور ويخضعون للمخالفات التي يسجلها ضد المخالفين منهم رجال المرور ، حيث يتوجب عليهم مراجعة محكمة المرور بأنفسهم لدفع الغرامات المستحقة عليهم بدون إرسال من ينوب عنهم !!

على الصعيد الإجتماعي يلاحظ الزائر لعمان الجديدة حضورا قويا للمرأة في كل المجالات ، فيما ينخرط العمانيون في حركة نقاش واسعة حول قضايا تتعلق بالعلم والمستقبل بعيدا عن الإنشغال بثقافة الخرافات التي تركز على الثعبان الأقرع وطريقة دخول الحمام ، وتسرف في تحقير المرأة و تشبيهها بالغربان والكلاب السوداء ، وصولاً الى الهروب من واجبات الدولة والمجتمع في حماية حقوق الانسان وتوفير شروط الحياة الكريمة له ، الى الإفراط في الحديث عن الموت وعذاب القبر وظهور علامات قيام الساعة وقصص الإنس والجان والعلاج ببول الإبل !!

وبوسع كل من يزور عمان ويتعرف عن قرب على مختلف مظاهر النهضة العصرية في عمان ، ملاحظة الحضور الملموس

الذات رصيدا إضافيا لهذه النهضة واحد إفرازاتها .

قبل عامين ـ وتحديدا في خريف عام 2005 ـ كنت في عمان للمشاركة في مناسبة وطنية هي الوحيدة التي يشارك فيها السلطان قابوس بن سعيد سلطان عمان ، ويلقي فيها خطابه الوحيد كل عام . ولفت نظري عدد من الظواهر المثيرة للتأمل . فقد جاء خطاب السلطان خاليا من أي إشارة للإنجازات التي تحققت في عمان خلال الفترة بين خطابه السنوي السابق وخطابه الذي كان يلقيه في ذلك العام ، بينما ركز الخطاب على ما عجزت الدولة عن إنجازه مضيفاً اليه عدداً من النواقص التي يعاني والواسع للمرأة في تشكيلة مجلس الوزراء ومجلس الدولة ومجلس الشورى والأجهزة الحكومية والشركات العامة والخاصة ومختلف مواقع العمل والدراسة والإدارة والتجارة والإنتاج والنشاط الرياضي والاجتماعي إلى جانب الرجل ، في جو تسوده قيم المساواة الانسانية التي تجد تجسيداً لها في حرص العمانيين على تأنيث نسب المرأة العمانية الى قبيلتها بصورة غير مسبوقة و لا مثيل لها في أي بلد عربي او اسلامي ، حيث يتم تأنيث الصفة القبلية للمرأة بدلا من تذكيرها ، بمعنى ان العمانيين بفضل نهضتهم العصرية يعارضون تذكير نسب المرأة الذي يشير إلى إلحاقها بالمجتمع الذكوري ، بدلاً من الاعتراف بأنّ الله خلق الذكر والانثى من نفس واحدة على حد سواء .

وفي العام الماضي 2006 أتيحت لي فرصة زيارة عمان مرة أخرى مصحوبة باتساع نطاق اللقاءات مع عدد كبير من المسؤولين والناشطات من النساء في الشأن العام ورجال الأعمال والمثقفين والأكاديميين .

وأثار انتباهي هذه المرة أن ما يشغل العمانيين ليس " عذاب القبر والتداوي ببول الإبل وظهور علامات قيام الساعة وضرورة حبس المرأة في البيت ووجوب عدم التشاور معها والحرص على مخالفتها لأن في خلافها بركة " ، بقدر ما يشغلهم الحديث عن العولمة بصفتها إحدى حقائق العالم المعاصر ، وتحديات الإندماج في الحضارة الحديثة التي دخلت حقبة تاريخية جديدة تنطوي على تناقضات وإشكاليات معقدة في مسار الفتوحات العلمية والتكنولوجية والاقتصادية والمعرفية .حيث يتفق الكثير من العمانيين على خطورة تجاهل الميول الموضوعية للعولمة ، وخطأ الاعتقاد بإمكانية إغلاق الأبواب امام رياح التحولات والمتغيرات التي تحدث بفعل تعاظم منجزات الثورة الصناعية ، وبناء ستار حديدي يحول دون وصول هذه الرياح إلى مجتمعاتنا التي تدفع بسبب عزلتها الطويلة عن العصر وانقطاعها عن ميدان إبداع الحضارة، فواتير إرث التخلف والأمية والجهل.

ولعل أكثر ما أدهشني كلام سمعته على لسان مسؤولين بارزين في الحكومة العمانية أوضحوا فيه حاجة البلدان العربية والإسلامية للتعامل مع العولمة ، والانفتاح على إنجازاتها وتحولاتها في مجالات العلم والتكنولوجيا والاقتصاد والتجارة والإدارة ، مع التحذير من خطورة إدارة الظهر لها، والإقامة الدائمة في الماضي ، والعودة إلى نمط حياة الأسلاف القائمة على أدوات الإنتاج والاستهلاك التقليدية التي ارتبطت باقتصاد النخيل والإبل، وثقافة القراءة الشفهية في الكتاتيب وزوايا الجوامع.

أينما يذهب المرء في عمان لا يجد أثرا للثقافة المتكلسة التي تجره الى الماضي وتعزله عن العصر وهمومه وتحدياته ، الأمر الذي يؤهل المجتمع العماني تحت تأثير الثقافة الجديدة ، بما هي نتاج المزج الخلاق بين الأصالة والمعاصرة ، للتفاعل مع الأسئلة التي تطرح أمام العقل العربي والإسلامي ـ وليس أمام النقل السلفي ـ تحديات البحث عن صيغ متوازنة تضمن ما يسميه العمانيون إنفتاحاً آمناً على أدوات العولمة وقيمها المتغيرة، وصولاً إلى المزاوجة بينها من جهة ، وبين ثوابت الهوية والخصوصية من جهة أخرى، بما يحقق للهوية والخصوصية تجدداً متنامياً يسقي جذورها بماء الحياة المستديمة، ويغذيها بمقومات النماء والبقاء، ويدرأ عنها مخاطر الجفاف والتيبس والذبول.

تأسيسا على ذلك يمكن القول ان الطريقة الرائعة وغير المسبوقة التي أدار فيها العمانيون معركتهم مع إعصار غونو قدمت دليلا إضافيا على فاعلية وديناميكية النهضة العصرية التي تجري في عمان منذ أكثر من ثلاثة عقود ، لأن ما جرى من تميز ونجاح غير مسبوقين في معركة مواجهة الإعصار على نحو أثار دهشة العالم ، لا يمكن فصلهما عن ما جرى ويجري في عمان على صعيد بناء الدولة العصرية ، وتحديث المجتمع والاقتصاد والعمران والثقافة والوعي ، كشرط لمواصلة مسيرة النهضة والانطلاق صوب آفاق الحداثة والبناء والتقدم .

نقلا عن / صحيفة " 26 سبتمبر "

ألا إنهم هم المفسدون

أحمد غيلان

لم يعد ثمة مبرر يستوجب منا التريث في إعلان حالة استنفار قصوى ضد الإرهاب والإرهابيين، ومعهم وقبلهم منابع التطرف والغلو التي تلقي بذور ثقافة العنف في عقول الناشئة نصوصاً جامدة يتم اجتزاؤها من كتاب الله وسنة رسوله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم وربما أيضاً من أحاديث موضوعة وغير صحيحة يتم تلقينها للبسطاء والأبرياء بتأويلات وتفسيرات هي أبعد ما تكون عن المقاصد الحقيقية لتعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي جاء رحمة للعالمين، بما هو عليه دين محبة وألفة ورحمة وتسامح، يدعو للحب والسلام وينبذ العنف والحقد والكراهية ، وينشر قيم التسامح والعفو حتى في التعامل مع الأعداء .

● نعم لم يعد لدى أي منا ما يمكن أن يبرر به أي مشروع تعاطف مع دعاة الغلو والتطرف والعداء المطلق للإنسان والأوطان والحياة .. ولم تعد جلابيب التدين والدعوة تكفي لمنعنا أو إثنائنا عن قراءة ما بين سطور تلك الثقافة الاقصائية العدائية القاتلة التي يبثها الغُلاة المتطرفون في عقول البسطاء من خلال ندوات وخطب وحلقات ودروس معظمها تتم على مسمع ومرآى من الجميع .

● لقد سمعنا وقرأنا وتابعنا كثيراً عن جرائم قتل ودمار وتفجيرات وعمليات انتحارية ذهب ضحيتها أناس أبرياء رجال ونساء وأطفال وعمال وتجار وجنود وفلاحون في بقاع كثيرة من دول العالم ، لكن كثيرين منا " نحن أبناء اليمن " لم يستوعبوا حقيقة المأساة وخطورة تلك الأعمال الإجرامية التي ينفذها أناس يدعون أنهم في صدارة من يحمي الدين الإسلامي ويذود عن حياضه ، وهم في الحقيقة أول وأخطر من يسيء إليه وأخطر من يؤلب عليه الأعداء .

وها نحن اليوم – في اليمن – نشهد عينة من تلك الأعمال الإجرامية القذرة والوحشية التي استهدفت فوجاً من السياح الأسبان الأبرياء الذين لا ذنب لهم ولا جريرة لا في غزو العراق ولا في حرب أفغانستان ولا في احتلال فلسطين ولا حتى في ملاحقة تنظيم القاعدة ، ثم إذا كانت ذريعة منفذي العملية الإجرامية البشعة أن السياح الأسبان ليسوا مسلمين ، فما هي ذريعة قتل وإصابة اليمنيين الذين كانوا بصحبة الفوج السياحي سائقين ورجال أمن .. ؟

ثم أين تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي شددت على حماية الذمي والمؤمن في بلاد الإسلام من معتنقي الديانات الأخرى ..؟

ثم أين هؤلاء من تشريعات الدين الإسلامي التي عمل بها رسول الرحمة صلى الله عليه وسلم خلال سنوات الدعوة ومعارك الفتوحات والدفاع عن الدين ، حيث لم تكن سيوف المسلمين تُشهر إلا في وجوه من يقاتلون المسلمين ، ولم يحدث مطلقاً أن رفع أحدٌ من أصحاب الرسول وجنوده سيفه في وجه عابر سبيل أو في وجه مزارع أو تاجر أو طفل أو امرأة لا في ديار المسلمين ولا في تلك البلدان التي جرت فيها معارك الفتوحات .

● إن ما حدث في مأرب بما هو عليه من عمل لا إنساني .. لا أخلاقي .. لا ديني .. لا وطني .. ليس سوى إضافة بشعة إلى السجل الإجرامي البشع الذي شهدته من قبل مدينة (جبلة) في محافظة إب .. ومنطقة (حطاط) في أبين ، وميناء عدن .. وساحل حضرموت .. وجميعها أعمال مدانة ومجرمة تسيء للدين الإسلامي وتستهدف السلام والأمن والاستقرار ، فضلاً عن استهداف سمعة اليمن واقتصادها وقيم المجتمع وأعراض وتقاليد وأخلاق اليمنيين .

● ولذلك كله فإننا جميعاً معنيون بالتصدي لهذه الأعمال ومجابهتها والتصدي لمن يغذي بذورها بثقافة العداء والعنف والتطرف والغلو أينما وجدوا ، حتى وإن جاؤونا يرتدون ثياب الطُهر والصلاح فقد وصفهم وبين حقيقتهم المولى عز وجل بقوله : " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون " .صدق الله العظيم

العلمانية ليست إقصاء الدين عن الحياة بل إقصاء رجال الدين عن الحكم

فى الذكرى الخامسة عشرة لإغتياله مازلنا نطرح السؤال: من الذى قتل فرج فوده؟

فتوى تكفير فرج فوده كانت إعداماً مؤجلاً ينتظر من ينفذه.

إتهموه بإباحة الزنا وسب الصحابة وإنكار السنة ثم قالوا لم نكن نقصد قتله !!.

قبل اسبوعين مرت 15 سنة على اغتيال المفكر فرج فوده الذى اغتيل برصاص قوى التخلف والجهل فى شهر يونيو 1992م.

كان الدكتور فرج فوده مثل أبطال التراجيديا اليونانية مساقاً إلى قدره المحتوم الذى لا مفر منه، وكان أيضاً مثلهم فى درجة معرفته بهذا القدر ويقينه بأن تلك النهاية المأساوية هى فصل الختام، ولكن الذى لم يكن يعرفه أو يتوقعه فرج فوده أن حيثيات حكم إعدامه ستصدر عن رجل دين يحمل شهادة الأزهر، وأن مبررات اغتياله سيقدمها رجل يشغل منصب "رئيس قسم الدعوة" بالأزهر ورئيس ندوة العلماء !!

ومن المؤسف أن الدكتور فرج فوده كان قد راهن وخسر الرهان . راهن على إمكانية الحوار مع هؤلاء من أمثال الدكتور عبد الغفار عزيز مؤلف كتاب "من قتل فرج فوده؟ " وراهن على أنه يوجد فرق بين هؤلاء وبين من أسماهم " المتطرفين " مع أن أمثال هؤلاء الأساتذة الأجلاء ما هم إلا وجه العملة الأخرى الذين يقدمون الدعم النظرى للقسم الثانى، والذى ما عليه إلا أن ينفذ ويضغط على الزناد، وهو فى منتهى راحة الضمير تسانده الفتوى المطبوخة بأيدى أمهر الفقهاء حاملى أختام وتأشيرات دخول جنة الفردوس وموزعي صكوك الغفران وحماة حمى الكهنوت بإسم التخصص، وحراس الإرهاب باسم محاربة إنكار ما هو معلوم من الدين بالضرورة .

وكان الدكتور عبد الغفار عزيز قد ضمن كتابه إتهامات خطيرة هى التكفير بعينه، ونصب من نفسه ومن زملائه أعضاء اللجنة محكمة تفتيش تنقب فى الضمائر وتطلق الأحكام ثم تجمعها بين دفتى كتاب لكى تكون عوناً وزاداً لكل من يريد ذخيرة فكرية يحشو بها الكلاشنكوف ويغتال ثم يضمن الجنة ، وقررت فى هذه المقالة أن أحتفل بهذه الذكرى بطريقة مختلفة، وهى الرد على التهم التى ساقها مؤلف هذا الكتاب القديم الجديد مبرراً لإغتياله وهى تهم مازالت موجهة إلي الفقيد وإلى الكثيرين من كتيبة التنوير. فالمسألة ليست فى مؤلف الكتاب بل فى عقلية هى السائدة حتى الآن ولابد من الرد عليها، سأرد بالحجة والمنطق مستعينا بآراء من كان أسلوبه حجة ومنطقاً وعشقاً للحقيقة وهو الدكتور فرج فودة، وأتساءل مع مؤلف الكتاب "من هو القاتل الحقيقى لفرج فوده "؟ بالسؤال ذاته . التهمة الأولى هى أخطر هذه التهم وأكثرها مداعبة لعواطف المسلمين وهى رفض فرج فودة لتطبيق الشريعة الإسلامية عموما وهجومه على التجارب الإسلامية المعاصرة وخاصة "السودان فى عصر نميرى!!

ان رفض فرج فوده لا يدعو للدهشة والاستنكار لأن المسألة ليست مسألة موقف من الدين بل هى مسألة موقف سياسي بحت ، أو بمعنى آخر هى طرح لقضية سياسية شديدة التخلف والغموض من خلال منطق دينى شديد القبول والوضوح ، ولنناقش هذا الاتهام من خلال طرح بعض علامات الاستفهام على المؤلف .

أولا: أي شريعة إسلامية يريد تطبيقها شيخنا العزيز؟.. هل هى شريعة باكستان ضياء الحق، أم إيران الخومينى، ام شريعة قلب الدين حكمتيار أم شريعة طالبان أم شريعة أحمد شاه مسعود وحامد كرازاي؟ .. أم تراها شريعة نميرى السودان التى هاجمها فرج فودة حين أعلن رفضه لهذه التجربة فى حين أيدها شيوخ الاسلام السياسي جميعاً، بداية من الشيخ الغزالى الذى قال عنها إنها كانت إلهاما جليلا من الله، مرورا بالشيخ كشك الذى وصف مهاجميها بكلماته البليغة وأسلوبه المؤدب بأنهم "كلاب تنبح" ، وإنتهاءً بعيد اللطيف حمزة ويوسف القرضاوى والتلمسانى الذى نصح نميرى وقتها بان يحذر مهاجميه وان يكبح جماحهم وإلا يفسح لهم فى غيهم بحجة حرية المرأة والكلمة وصلاح أبو إسماعيل الذى قال إن أول عز نالته السودان بسبب تطبيق الشريعة هو ان "عز الدين السيد" رئيس مجلس الشعب السودانى ظفر بالثقة العالمية فصار رئيسا للاتحاد البرلمانى الدولى وهذا أكبر دليل على تقدير العالم لتطبيق الشريعة !!

ولننظر بسرعة إلى هذه التجربة المضيئة التي تحدث عنها كل هؤلاء بإعجاب وافتخار.طبعا فى البداية نصب النميرى نفسه إماماً وعدل مواد الدستور لكى تتسق مع تجربته العظيمة، وكانت أول مادة فيه مبايعة الامام مدى الحياة، واختياره لخليفته بكتاب مختوم، ومن مواده أيضاً لا تجوز مساءلة أو نقض بيعة الإمام وإعتبارها خيانة عظمى، والامام هو الذى يشكل المحاكم الاستثنائية، مع حرمان المتهم من الاستئناف إلى آخر هذه المضحكات المبكيات. وطبعا تم التهليل لقطع الأيدى والرجم، أما الجوع الذى عض بأنيابه شعب السودان فإنه كان فى رأي مؤيدى التجربة مجرد اختبار يبتلى به المؤمن لامتحان صدق عقيدته واقتناعه بتطبيق الشريعة. يرد البعض بأن هذه ليست الشريعة، وإنما الشريعة هى فى التاريخ الإسلامى المجيد ويقودنا هذا إلى علامة الاستفهام الثانية وهى: هل التطبيق الفورى للشريعة وقتها تبعه صلاح فورى للمجتمع وحل فورى لمشاكله؟ . وكانت الإجابة التى قدمها فرج فوده هى بالنفى، وقد قدمها الفقيد بمنطق رائع وحجة دامغة وأمثلة واضحة أهمها عصر الفتنة الكبرى . فالبرغم من وجود الحاكم المسلم الصالح (عثمان الذى لا يشكك أحد فى تقواه وصلاحه)، والرعية المؤمنة (صحابة الرسول وأهله وعشيرته قريبو العهد به وبرسالته)، والشريعة (التى كانت بالتأكيد مطبقة).. بالرغم من وجود أضلاع المثلث التشريعى الثلاثة، فان العدل لم يتحقق ولم يسد الأمن والأمان، إذن فالعدل لا يتحقق بصلاح الحاكم، ولا يسود بتقوى الرعية، ولا يتأتى بتطبيق الشريعة، وإنما يتحقق بوجود ما يمكن أن نسميه "نظام الحكم" أو القواعد التى يقول عنها فرج فوده فى كتابه "الحقيقة الغائبة" "ص32، قواعد تنظم المجتمع على أسس لا تتناقض مع جوهر الدين فى شيء ولا تصطدم مع معطيات العصر فى إطارها العام"... يرى الدكتور فرج فوده انه بوفاة الرسول استكمل عهد الإسلام وبدأ عهد المسلمين بماله وما عليه، فيصرخ فينا المؤلف عبد الغفار عزيز فى نهاية كتابه ص 120 مالنا ومال عهد المسلمين، فكل أحكام الشريعة لا نستطيع ان نحكمها الا فيما يسميه المؤرخون بالعصر الذهبى للإسلام وهى فترة الخلافة الراشدة، والتى استمرت ثلاثين عاما . إذا وافقنا على أن هذه المدة هى العصر الذهبى فهذه للأسف حجة عليه وليست له، فإذا كان التاريخ الإسلامى لا توجد فيه إلا هذه الثلاثين سنة على مدى 1400 سنة بعد التنقيب والبحث والاستبعاد والتهذيب والتشذيب فأعتقد أن لفرج فوده ولنا الحق فى أن نشك، مجرد شك، دون أن يصدر علينا حكم بالقتل !!

ثانى التهم التى تعرض لها فرج فوده هى سب الصحابة ، ففى صفحة 118 من الكتاب يتهم الشيخ الدكتور عبد الغفار عزيز الدكتور فرج فودة بأنه يسب الصحابة ولذلك يجب ان يعاقب لأنه لم يمتثل لأمر النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله "لا تسبوا أصحابى". والواقع ان هذا الخلط نتج عن تصور المؤلف ان الصحابى المتدين هو الصحابى السياسى، وأنه فى الموقفين شخص واحد علينا توقيره وإجلاله وعدم معارضته وهذا خلط بين ووهم منتشر بين كل من يتعرضون لمثل هذه الأمور . فلم يعترض أحد وأولهم فرج فوده على إيمان وتقوى وتدين هؤلاء الصحابة، ولكن الاعتراض عليهم عندما مارسوا السياسة وانغمسوا فيها وبدأت حرب حماية المصالح واستحواذ المغانم، ونتساءل عمن كان قاسياً على الصحابة؟ فرج فوده أم السيدة عائشة التى قالت عن عثمان بن عفان ذى النورين: اقتلوا نعثلاً لعن الله نعثلاً"...، من كان قاسياً؟، فرج فودة أم على ابن أبى طالب كرم الله وجهه عندما قال لابن عباس فى رسالته إليه عندما طالبه برد أموال بيت المال حين كان واليه على البصرة "أما تعلم انك تأكل حراما وتشرب حراما؟" ، فالخلط ليس فى صالحهم على الإطلاق حين يحاكمون بمنطق الدين عن تصرفات سياسية" ، أما الفصل، والذى كان من رأى فرج فوده بين ما هو دينى وما هو سياسى فهو فى صالحهم حين يحتفظ لهم بالوقار والإجلال الدينى مع وضع أخطائهم فى ميزان السياسة بأخطائها ومصالحها ومناوراتها.

د.خالد المنتصر

فى صفحة 28 يقول المؤلف عبد الغفار عزيز عن فرج فوده: بأنه يبيح الزنا، أما على غلاف الكتاب فيخطو خطوة أبعد وهو أنه يبيح بيوت الدعارة، يعنى أنه يريد تنظيماً للعملية ولا يريدها "سداح مداح، وطبعا هذا الكلام يجد هوى فى نفوس من يعانون من كافة أنواع الكبت والقهر، ويستنفر عزيمة من يقولون بأن المرأة لها ستران الزواج والقبر. والدكتور عبد الغفار عزيز ليس أول من اتهم فرج فوده بهذا الاتهام البشع، فالشيخ صلاح أبو إسماعيل سبقه إلى ذلك، ولكن بأسلوب أكثر بلاغة حينما كتب له فى جريدة الأحرار وطلب منه أن يأتى له بزوجته وأهله فإذا فعل (فرج فوده) فلا كرامة له، وإذا لم يفعل فهو أنانى !! .. وأترك لك عزيزى القارئ الحكم على مثل هذا الأسلوب فى الحوار.

ولننظر فيما كتبه فرج فوده فى هذا الموضوع والذى استحق بسببه كل هذا الهجوم وكل هذه البذاءة، فى كتابه "الحقيقة الغائبة" فى معرض رده على من يرفعون عقيرتهم بأن الإسلام هو الحدود، ناقش فيما إذا كان الماضى صورة بالكربون للحاضر، وهل ما كان يطبق على بشر كانوا متزوجين بأكثر من زوجة ، و يتسرون بالجوارى ويحلل لهم زواج المتعة، يطبق على شبابنا المعاصر الذى لا يستطيع ان يتزوج بواحدة لعجز ذات اليد، وألا تشفع ظروف الحياة المعاصرة لهم كما شفعت ظروف المجاعة للسارقين فى عهد عمر؟

وحتى لا يذهب الخيال بالقارئ فيؤيد مؤلف الكتاب فى اتهامه ندعه لكلمات فرج فوده فى كتابه الحقيقة الغائبة ص120 ليدافع بنفسه عن نفسه، يقول : " نحن هنا لا ندعو للزنا، أو نبرر إباحته، كما يحلو للبعض ممن لا يرى الحياة إلا من خلال رجل وامرأة والشيطان ثالثهما، أن يتقول وان يغمز بجهل، أو يلمز عن شبق، ولا نفعل ما يفعله البعض ممن يؤثرون السلامة فيطالبون بإقامة حد الزنا عن ثقة كاملة منهم انه حد مستحيل التطبيق" .

ويمضى فرج فوده فى شرح كيف هو مستحيل التطبيق ، فوجود أربعة شهود عدول يرون الفعل رؤية ولوج الرشاة فى البئر و الميل فى المكحلة هو معجزة من المعجزات فى وقتنا الحاضر، ويتحدى فرج فودة هؤلاء المتشدقين بتطبيق الشريعة ان يبحثوا فى ملفات قضايا الزنا من نصف قرن حتى الآن ، وان يعطوه مثالا واحدا لقضية يطبق فيها الحد على واقعة زنا توافر لها أربعة شهود أوفوا بشروط ثبوت الزنا .

السؤال هنا من الذى يطالب بالعقوبة ؟ طالب المستحيل، أم طالب تنفيذ القوانين الوضعية الحالية والتى تثبت الزنا حتى بالمكاتيب وشهادة اثنين ، والتى أعدمت ثلاثة من الشبان فى حادثة اغتصاب المعادى مع عدم توافر اربعة شهود رأو وا بعيونهم دخول الميل بالمكحلة ، وبالرغم من تقرير الطبيب الشرعى الذى أثبت بكارتها رغم الإعتداء الجنسي عليها .. ونظن أن البكارة تسقط الحد . ألم لمتهمى فرج فوده رأي آخر ؟!! . ناهيك عن العديد من قضايا الإعتداء الجنسي على الفتيات التي روّعت المجتمع المصري وقد حكم القضاء على مرتكبيها بالاعدام إستنادا الى القوانين الوضعية على الرغم من أن بعض محامي الدفاع حاولوا الاستنجاد بالشريعة الاسلامية لتبرئة مرتكبي جرائم الاعتداء الجنسي عندما طالبوا بإحضار اربعة شهود يشهدون بأنهم شاهدوا بعيونهم ولوج الرشاة في البئر والميل في المكحلة !!

العلمانية تهمة ينطبق عليها القول " بأنها تهمة لا أنكرها وشرف لا أدعيه " ، وتذكرنى هذه التهمة بموقف فى فيلم البداية لصلاح أبو سيف عندما أقنع جميل راتب رجل الأعمال سكان الواحة أن أحمد زكى رجل ديمقراطى وبدأ الكل يتعامل معه على انه شخص مجذوم والمفروض ان يبتعد الجميع عنه "ده ديمقراطى يعنى ما يعرفش ربنا" .. !، وكذلك فعل الشيخ عبدالغفار عزيز فالعلمانى عنده رجل كافر، والعلمانية كما يقول فى ص171 مصطلح يعنى اللادينية وليسمح لى بأن أقول له ان هذا ما هو إلا محض كذب وافتراء ولنعد إلي أصلها اللغوى Secularism مشتقة من كلمة لاتينية وهى saeculum بمعنى القرن . ولو شئنا الدقة الكاملة لكانت الترجمة الصحيحة للكلمة هى الزمانية، أي التى ترتبط بالأمور الزمنية، أي بما يحدث فى هذا العالم وعلى هذه الأرض، فى مقابل الأمور الروحانية التى تتعلق أساسا بالعالم الآخر.إذن فالعلمانية لا تعنى من قريب أو بعيد اللادينية على إطلاقها ولكنها تقصر التنظيم السياسى للمجتمع على اجتهادات البشر دون ان يكون لفئة منهم الحق فى الزعم بان هذه وجهة نظر السماء. التكفير ياسادة إعدام مؤجل لحين توافر الإمكانات والشروط، أى لحين توافر من اقتنع ونفذ وأطلق الرصاص ، ولكن وهو يعرف تماما ان من منحه الفتوى منحه معها راحة الضمير، وأجر من غيّر المنكر بيده .. وبعدها هل يحق لى ان أتساءل بكل براءة وبعد كل هذه السنوات من هو القاتل الحقيقى لفرج فودة؟!!!.